

الفصل الرابع

الطريق الى مونيخ

- ١ -

"القضية الخضراء" هو المصطلح الرمزي للخطة الخاصة بهجوم مباغت على چيكوسلوفاكيا. وكما رأينا كان الفيلد مارشال فون بلومبرگ اول واضح لها في ٢٤ حزيران ١٩٣٧ ولقد أشاد بها هتلر وأفاض أثناء خطبته أمام الجنرالات في ٥ تشرين الثاني مؤكداً "بأن الإنحدار على الجيك" يجب أن يتم "بسرعة البرق الخاطف"، وقد يحصل ذلك في "مطالع ١٩٣٨"^(١).
من الواضح ان الإنتصار السهل على النمسا، جعل "القضية الخضراء" أمراً عاجلاً بعض الشيء. فيجب والحالة هذه ان تنقح الخطة لتلائم الظروف الحاضرة. وبدأت الإستعدادات. ولهذا السبب إستدعى هتلر (كايتل) في ٢١ نيسان ١٩٣٨ وفي اليوم التالي قام الرائد (رودولف شموندت) مرافق هتلر الجديد بتهيئة خلاصة للحديث قسمت الى ثلاثة فصول "المظاهر السياسية، والإستنتاجات العسكرية والدعاية"^(٢).

نبذ هتلر "فكرة هجوم ستراتيجي دون سابق إنذار أو سبب أو مبرر محتمل للرأي العام العالمي المعادي الذي قد يؤدي الى وضع خطير". وفكر أن البديل الثاني وهو "العمل بعد فترة مباحثات دبلوماسية تؤدي بالتدرج الى أزمة ثم الى حرب، غير ملائم لأن الجيك (الأخضر) سيبادرون الى إتخاذ إجراءات وقائية". وفضل الأخذ ببديل ثالث على الأقل في الوقت الحاضر وهو "عمل مباغت يستند الى حادث" مثلاً: (قتل الوزير المفوض الألماني في مظاهرة معادية للألمان)^(٣).
"حادثه" مثل هذه- كانت كما يذكر القاريء قد أقرت في وقت ما لتبرير غزو ألماني للنمسا عندما كان پاپن هناك وقد أختير بالذات ليكون الضحية المقصودة! حقاً ان البعثات الدبلوماسية الألمانية في عالم عصابات هتلر وشقاوته، هي أشياء لا قيمة لها في الخارج.

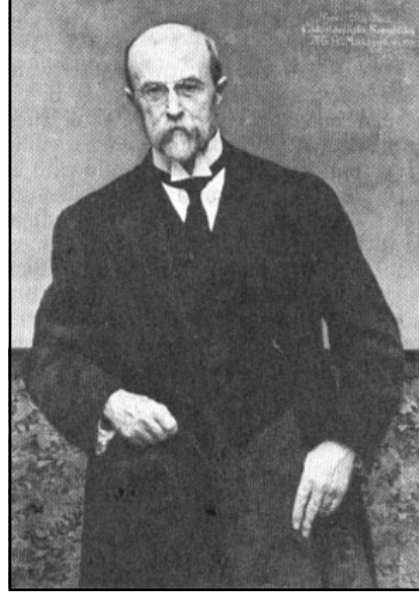
١- انظر ما سبق.

٢- حفظت القضية الخضراء في مقر هتلر وعثر الأمريكان عليها في قبو بأوبرسالزبرگ سالمة وكانت خلاصة حديث هتلر- كايتهل، في الورقة الثانية من المجموعة. وقدم الملف كله دليلاً في نورمبرگ (الوثيقة ٣٨٨ PS). ولها ترجمة إنكليزية في (مؤامرة... ج٣ ص٦٠٦-٧٠٩) وهناك ترجمة أفضل في (وثائق عن السياسة الخارجية الألمانية ج٢ ص٢٣٩-٢٤٠).

٣- القوسان الكبيران وردا في الأصل.



بينيتش



مازاريك

وبيّن سيد الحرب النازي للجنرال كايتل (وهذا ما يصح إطلاقه عليه بعد توليه قيادة القوات المسلحة) ضرورة عامل السرعة فقال: "من الناحية السياسية ستكون الأيام الأربعة الأولى فترة حاسمة. وفي حالة عدم تحقيق نصر عسكريّ باهر، لا مفرّ من مواجهة أزمة أوروبية و(الأمر الواقع) وحده هو الذي سيفقن الدول الأجنبية بعث التدخل العسكريّ.

أما الجانب الدعائي للحرب فليس الوقت مناسباً لاستدعاء الدكتور غوبلز ولم يتحدث هتلر إلا عن مناشير "لتوجيه الألمان في چيكوسلوفاكيا" وأخرى تتضمن "تهديدات من شأنها إلقاء الفزع بالچيك". إن جمهورية چيكوسلوفاكيا التي قرر هتلر تحطيمها الآن كانت من خلق معاهدات الصلح التي مقتتها الألمان عقيب الحرب العامة الأولى وهي أيضاً ثمرة مجهودات مفكرين چيكيين شهيرين هما (توماش كارينج مازاريك Tomáš Garrigue Masaryk) وهو ابن حوذي ثقّف نفسه وأصبح فيلسوفاً معروفاً وأول رئيس جمهورية للبلاد. والثاني هو (ادوارد بينيش) ابن فلاح شق بنفسه طريقه من جامعة براغ وثلاثة معاهد علمية فرنسية أعلى منها علمياً. وبعد أن ظل بمنصب وزير خارجية بدون إنقطاع تقريباً تقلّد رئاسة الجمهورية عند إعتزال مازاريك في ١٩٣٥ ونحتت چيكوسلوفاكيا من إمبراطورية آل هابسبرگ (كانت في القرن السادس عشر ما عرف بمملكة بوهيميا) وتطورت خلال السنوات التي تلت تكوينها في ١٩١٨ الى أفضل دولة ديمقراطية تقدمية وأعلىها ثقافة وأكثرها رخاء في أواسط أوروبا.

على ان تكوينها بالأصل من قوميات مختلفة. أوقعها من البداية في مشاكل داخلية لم تستطيع حلها حلاً نهائياً بعد عشرين سنة، تلك هي مشكلة أقليتها. ففي البلاد يعيش مليون هنغاري ونصف مليون روثيني وثلاثة ملايين وربع مليون ألماني سوديتي، هذه القوميات كان تحن حنيناً الى بلادها "الأم" هنغاريا، وروسيا وألمانيا على التوالي. مع أن الألمان السوديت لم يكونوا قط جزءاً من الرايخ الألماني بل من النمسا (خلا تأليفهم جزءاً من الإمبراطورية الرومانية المقدسة المفككة الأوصال). وجملة القول كانت هذه القوميات ترغب في إستقلال ذاتي أكثر مما منح لها.

حتى (السلوفاك) أنفسهم، وهم يؤلفون ربع الملايين العشرة من سكان البلاد. فقد طمحو الى مدى معين من الحكم الذاتي فمع انهم متقاربون من الجيك عنصرياً ولغوياً، إلا أن تطورهم التاريخي والثقافي والإقتصادي كان مختلفاً، والسبب الأكبر لهذا يعزى الى خضوعهم عدة قرون للهنغار. وكانت قد عقدت إتفاقية بين الجيك والسلوفاك في المهجر بأمریکا. تم التوقيع عليها في (پتسبرغ Pittsburgh) في ۳۰ أيار، ۱۹۱۸ أقرت للسلوفاك حكومة خاصة وبرلماناً ومحاكم خاصة. إلا ان حكومة (پراغ) لم تجد نفسها ملزمة بهذه الإتفاقية فلم تضعها موضع التطبيق.

والحق الذي لا يمكن نكرانه إن الأقليات الجيكوسلوفاكية كانت في أفضل وضع إذا ما قورنت بأقليات الدول في الغرب، أو حتى في أمريكا. فهي تتمتع الى جانب الحقوق المدنية الديمقراطية الكاملة بما فيها حق التصويت - بحقوق وإمتيازات أخرى بخصوص معاهدها الثقافية الخاصة، وتنظيم الأحزاب السياسية وكثيراً ما نصب زعماء هذه الأحزاب وزراء في الحكومة المركزية. وعلى كل حال فإن جيكوسلوفاكيا التي لم تشف تماماً من آثار قرون الاضطهاد الذي صبه النمساويون عليها مازال أمامها طريق طويل لحل مشكلة الأقليات كما تصبو اليه وتطمح. بل كان الجيك أحياناً شوقيين، وكثير ما أظهروا فظاظة وقلة فطنة. أذكر من أولى زياراتي لتلك البلاد الحقد العميق الذي كان يعتمل في نفوس السلوفاك لسجن الدكتور فوجيك توكا Dr. Vojteck Tuka في ذلك الحين. وهو استاذ محترم حكم عليه بالحبس خمسة عشر عاماً بتهمة "الخيانة" وان كان من المشكوك فيه أنه لم يقدّم بأكثر من الدعوة الى حكم ذاتي سلوفاكي. وفوق كل ذلك كانت الأقليات تشعر ان الحكومة الجيكوسلوفاكية لم تبرز بالوعود التي قطعها (مازاريك وپينش) لمؤتمر الصلح في باريس ۱۹۱۹ في اقامة نظام إتحادي لامركزي شبيه بالنظام السويسري.

ومن الغرابة بمكان - ونظراً الى ما سيذكر هنا بعد قليل - أن الألمان السوديت كان وضعهم طيباً جداً في إطار الدولة الجيكوسلوفاكية - وبالتأكيد خير من وضع أي أقلية أخرى في البلاد، كالأقلية الألمانية في بولندا أو إيطاليا الفاشية. على أنهم كانوا ساخطين على تحكم الموظفين المحليين الجيكيين الصغار وعلى التمييز العنصري الذي قد يحدث أحياناً في پراغ وصعب عليهم أن يتحملوا ضياع سلطانهم على بوهيميا وموراڤيا، أيام كانوا سادة عليها في عهد هابسبرگ. على أنهم كانوا يعيشون مجموعات متكثلة على طوار الأجزاء الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية من البلاد حيث

تركز أغلب الصناعات. فأصابوا حظاً كبيراً من الرخاء ومرّت السنون وهم يقتربون تدريجياً من حالة الانسجام مع الجيوك، لا ينقطعون ابداً عن طلب المزيد من الإستقلال الذاتي والمزيد من الإحترام للغتهم وتراثهم الثقافي. ولم تبرز حركة سياسية مطالبية بالأكثر من هذا حتى ظهور هتلر، وكان الديمقراطيون الإشتراكيون وغيرهم من الأحزاب الديمقراطية الأخرى تحوز معظم أصوات السوديت.

ثم وفي ١٩٣٣ عندما أصبح هتلر مستشاراً إنتشرت جرثومة مرض القومية الإشتراكية في السوديت الألمان. ففي تلك السنة تألف حزب السوديت الألمان (S.D.P.) بزعامة معلم رياضة لطيف الطبع يدعى (كونراد هنلاين Konrad Henlein) وفي ١٩٣٥ بدأ هذا الحزب يتلقى إعانة سرية من وزارة الخارجية الألمانية قد تبلغ خمسة عشر ألف مارك شهرياً^(٤). وفي ظرف سنتين حاز الحزب المرتبة الأولى وإجتذب الأغلبية في أرض السوديت ولم يبق خارج نطاقه غير الشيوعيين والديمقراطيين الإشتراكيين. وفي الوقت الذي أنجز هتلر ضمّ النمسا كان حزب (هنلاين) مستعداً ليصدع بأمر أودلف هتلر- بعد أن ظلّ ثلاث سنين يتلقى توجيهاته من برلين.

وأسرع هنلاين الى برلين لتلقي الأوامر بعد مرور أسبوعين من الوحدة وفي ٢٨ آذار انفرد به هتلر ثلاث ساعات. بحضور من ريبنتروب وهس. ومما كشفه تقرير في وزارة الخارجية أن تعليمات هتلر هي: "يجب علينا دائماً أن نطلب الكثير بحيث يتعذر إرضائنا"^(٥).

ولهذا لم تكن محنة الأقلية الألمانية في جيوكوسلوفاكيا إلا هبة لهتلر. كما ستكون (دانزك) لپولندا بعدها بسنة واحدة. مجرد حلة لطبخ عصيدة في البلاد التي يطعم فيها فيصدع أركانها ويوقع الإضطراب والبلبله في نفوس أصدقائها مخفياً تحتها أغراضه الحقيقية. وأوضح تلك الأغراض في خطبة الخامس من تشرين الثاني أمام قادة الجيش وفي الأوامر التوجيهية الأولية (للقضية الخضراء): إزالة الدولة الجيوكوسلوفاكية من الوجود وإزدراء أراضيها وسكانها لمنفعة الرايخ الثالث. ومع ما حدث للنمسا فإن قادة فرنسا وبريطانيا لم يستوعبوا المسألة والظاهر أن كلاً من چمبرلين والرئيس دالاديه Daladier ظلّ طوال الربيع والصيف، بل حتى النهاية، يعتقدان -كما يعتقد معظم الناس تقريباً- أن كل ما يريده هتلر هو إنصاف أبناء جلدته في جيوكوسلوفاكيا.

وواقع الأمر إن الحكومتين البريطانية والفرنسية وأيام الصيف تدنو خرجتا عن طورهما في الضغط على الحكومة الجيوكوسلوفاكية كي تمنح إمتيازات كبيرة للسوديت الألمان. وفي الثالث من أيار كتب السفير الألماني في لندن (هربرت فون ديركسن) الى برلين يقول أن اللورد هاليفاكس أبلغه عن مسعى دبلوماسي demarche ستقدمه الحكومة البريطانية الى براغ بعد قليل "يرمي الى إقناع بينيش لإظهار أكثر ما يمكن من المجاملة والمداراة للسوديت الألمان"^(٦). وبعدها بأربعة أيام في ٧ أيار قدم السفيران

٤- المذكرات السرية لوزارة الخارجية الألمانية ١٩ آب ١٩٣٨ "مؤامرة... ج ٦ ص ٨٥٥" [وثائق نورمبرگ ٣٠٥٩ PS].

٥- وثائق من سياسة ألمانيا الخارجية ج ١١ ص ١٩٧-١٩٨.

٦- المرجع السالف ص ٢٥٥.

الفرنسي والبريطاني في براغ Prague (ديمارشهما) فيه يلحان على الحكومة الجيكية "أن تتنازل أقصى ما يمكن" كما عبّر عنه الوزير الألماني في لندن بتقريره الى برلين. وذلك لتحقيق الطلبات التي قدمها السوديت. وبدا هتلر وريبنتروب جدّ مسرورين لأن الحكومتين البريطانية والفرنسية مهتمتان بمساعدتهما كثيراً.

ولم يعد مهماً بعد وصول الأمور الى هذه المرحلة أن تبقى النوايا مكتومة. وفي ١٢ أيار قام (هنلاين) بزيارة سرية الى قلهم شتراسه في برلين وتزوّد بتعليمات من ريبنتروب عن كيفية خطب ودّ الإنكليز عند وصوله لندن مساء ذلك اليوم لمقابلة السر روبرت فانسيتارت Sir Robert Vansittart رئيس المستشارين الدبلوماسيين في وزارة الخارجية وغيرهم من الشخصيات البريطانية. وقد دبّج (فايسيك) مذكرة تتضمن الخط الأساسي الذي سيتبعه "سينكر هنلاين" في لندن. أنه يعمل بوحى من برلين... أخيراً يتكلم (هنلاين) عن التصدع المستمر في بناء الجيك السياسي حتى يثبط من عزيمة تلك الأوساط التي تعتبر أن تدخلها لمصلحة هذا البناء قد يكون ذا نفع^(٧).

وفي اليوم نفسه ابرق الوزير الألماني من براغ الى (ريبنتروب) حول ضرورة إتخاذ الحيلة لستر السفارة في عملية تسليم المال والأوامر لحزب السوديت الألمان.

وقابل السفير الأمريكي هيو ويلسن Hugh R. Wilson في برلين (فون فايسيك) في ١٤ أيار لبحث أزمة السوديت فصارحه هذا بمخاوف الألمان من تعمد السلطات الجيكية إثارة أزمة دولية بمحاولة منها لمنع تحلل چيكوسلوفاكيا وبعدها بيومين (١٦ أيار) أرسل المرافق (شموندت) برقية مستعجلة "سرية للغاية" الى مقر القيادة العليا يسأل عن سيده الذي كان يرتاح في أوبرسالزبرگ كم عدد الفرق المعسكرة على الحدود الجيكية والمستعدة للزحف في غضون إثنتي عشرة ساعة بعد صدور الأوامر بالحركة". فأجاب المقدم الركن (زايتزلر Zeitzler) فوراً "إثنتا عشرة فرقة". فلم يرض ذلك هتلر. وطلب ثانية "أرجو أن ترسلوا أرقام الفرق" وجاء الجواب يتضمن عشر فرق مشاة مع أرقامها، إضافة الى فرقة مدرعة واحدة وفرقة جبلية واحدة^(٨).

كان هتلر يتوثب للعمل كالحصان الجامح. في اليوم التالي (١٧) سأل من القيادة العليا عن معلومات دقيقة للتحصينات التي أقامها الجيك في جبال السوديت على حدودهم. وقد عرفت بخط ماجينو الجيكي. فأجاب (زايتزلر) من برلين في اليوم نفسه ببرقية مطوّلة (سرية جداً) يعلم بها الزعيم في إسهاب بوسائل الجيك الدفاعية ويوضح أنها منبوعة لا يستهان بها^(٩).

٧- مذكرة فايسيك ١٢ أيار ١٩٣٨ [وثائق من سياسة ألمانيا الخارجية ج ٢ الص ٢٧٣-٢٧٤].

٨- نص البرقيات الأربع المتبادلة [مؤامرة... ج ٣ الص ٣٠٨-٣٠٩ الوثيقة ٣٨٨ PS].

٩- المرجع نفسه الص ٣٠٩-٣١٠.

الأزمة الأولى: أيار ١٩٣٨

ان عطلة الأسبوع التي بدأت بنهار الجمعة ٢٠ أيار آلت الى "أزمة خطيرة" عرفت فيما بعد "بأزمة أيار". وفي الثماني والأربعين ساعة التي تلت، كانت حكومات لندن وباريس وبراغ وموسكو تتوجس خيفة من أن أوروبا قد اقتربت من شفا الحرب بالحد الذي لم تبلغه منذ صيف ١٩١٤، ولعل مرد ذلك بالدرجة الأولى تسرب أخبار الى الخارج عن خطط جديدة لهجوم ألماني على چيكوسلوفاكيا أعدتها لهتلر القيادة العليا ورفعتها اليه في يوم الجمعة. ومهما يكن من أمر فإن الإعتقاد السائد في براغ ولندن هو أن هتلر يوشك أن يقوم بهجوم عدواني على چيكوسلوفاكيا. فحمل الجيك على إعلان التعبئة وأظهرت بريطانيا وفرنسا والإتحاد السوفياتي وحدة وثباتاً في وجه ما خشيت حكوماتها أن يكون تهديداً ألمانياً وشيكاً. ذلك الثبات الذي لم تظهره مرة أخرى حتى كادت حرب عالمية جديدة تقضي عليها جميعاً.

في يوم الجمعة ٢٠ أيار أرسل الجنرال كايتل الى هتلر في (أويرسالزبرگ) مسودة جديدة (للقضية الخضراء) إنشغل في وضعها هو وأركانه منذ أن أوضح له خطوطها العامة في إجتماعهما في ٢١ نيسان. وشرح كايتل في رسالة حافلة بالتذلل والملق للزعيم مع الخطة أنها قد وضعت في الحسبان "الموقف الذي نجم عن ضم النمسا الى الرايخ الثالث" وانها لن تناقش مع القادة العاملين للقوات المسلحة الثلاثة حتى تصادق عليها "أنت يا زعيمى" وتذيلها بتوقيعك.

إن الأمر التوجيهي الجديد (للأخضر) المؤرخ في ٢٠ أيار ١٩٣٨ هو وثيقة مهمة لها مدلولاتها. فهي نموذج للتخطيط النازي للعدوان وكان العالم سيعرف عنه الكثير فيما بعد.

"بدأت هكذا] ليس في نيتي أن أسحق چيكوسلوفاكيا بعمل عسكري في المستقبل القريب جداً، دون إستفزاز، إلا إذا اضطررنا تطورات فجائية لا يمكن تفاديها... من داخل [الإهتمام بالعبارة الأخيرة ورد بالأصل] چيكوسلوفاكيا الى إتخاذ هذا المسلك. أو أن تخلق الأحداث السياسية في أوروبا فرصة مناسبة جداً، قد يمكن أن لاتحدث ابداً"^(١٠).

"هنالك احتمالات سياسية ثلاثة لبدء العملية، يجب أن توضع قيد الدرس. الأول "هجوم مباغت دون ان يرافقه عذر ظاهري معقول"، هذا الاحتمال مرفوض.

يفضل أن يشرع بالعمليات بأحدى الفرضيتين التاليتين:

(أ) بعد فترة من نزاع سياسي وتوتر متزايد يرافقهما إستعدادات عسكرية تستغل حتى يلقى وزر إثارة الحرب على العدو.

١٠- نص كتاب كايتل والامر التوجيهي [وثائق من سياسة... ج ٢ الص ٢٩٩].

(ب) بعملية مباغتة نتيجة حادثة خطيرة تؤدي الى وضع ألمانيا موضع إستفزاز لا يمكن إحتماله في أعين جزءٍ من الرأي العام العالمي على الأقل، هذا يزودنا بالمبررات الأدبية لإتخاذ التدابير العسكرية.

إن الفقرة (ب) هي المستحسنة من وجهتي النظر العسكرية والسياسية. "أما عن العملية العسكرية نفسها فيجب أن تحقق نصراً ساحقاً خلال أربعة أيام لتكشف للدولة العدوِّ الراغبة في التدخل وضع الجييك العسكري اليانس وليكون باعثاً لتلك الدول التي تدعي بمطالب إقليمية في جييكوسلوفاكيا، على القيام ضدها حالاً" هذه الدول هي هنغاريا وپولندا والخطة تعتمد على تدخلهما، وأما عن ايفاء فرنسا بتعهداتها للجييك فقد اعتبر ذلك أمراً مشكوكاً فيه. ولكن "يحتمل أن تقوم روسيا بمحاولة تقديم المساعدة العسكرية".

وكانت القيادة العليا، أو على الأقل هتلر وكايتل، واثقين تماماً أن الفرنسيين لن يقاوتوا بحيث يكفي وضع "قوة صغيرة جداً" لحماية المؤخرة في الجهة الغربية. "واوضح أن "كل ثقل القوات يجب أن يتم إستخدامه ضد جييكوسلوفاكيا" وان "مهمة القوات البرية كافة" بمساندة القوة الجوية (اللوفتوافه) هي "سحق الجيش الجييكوسلوفاكي وإحتلال بوهيميا ومورافيا بأسرع ما يمكن".

كانت حرباً جماعية. وللمرة الأولى تجد في التخطيط العسكري الألماني تقديراً لقيمة ما نعتة الأمر التوجيهي "بحرب الدعاية" و"الحرب الإقتصادية" وقد حيك طرز إستخدامهما في كل ثنايا خطة الهجوم العسكرية حياكة متينة.

"حرب الدعاية" [وضعت العبارة بالاصل بين قوسين لجلب النظر] يجب من جهة أن تستهدف تحطيم معنوية الجييك بوسائل التهديد حتى تضحمل قوى المقاومة فيهم. ومن الجهة الثانية يجب أن تزود الأقليات القومية بتلميحات عن كيفية معاونة عملياتنا الحربية والتأثير على المحايدين منهم لضمهم الى صفوفنا.

"ولحرب الدعاية، مهمة إستخدام الموارد الإقتصادية الميسورة للتعجيل بإنهيار الجييك... ففي أثناء سير العمليات العسكرية من المهم دفع مجهود الإقتصاد الحربي العام دفعات الى أمام بجمع المعلومات بسرعة عن المصانع المهمة وتشغيلها بأسرع وقت ممكن ولهذا السبب فإن تحاشي تدمير المؤسسات الصناعية والآلية الجيكية -قدر ما تسمح العمليات العسكرية- قد يكون ذا أهمية عظيمة لنا.

هذا النموذج للعدوان النازي، سيبقى ثابتاً بالجوهر ليستخدم بنجاح هائل، حتى صحت عليه دنيا وسنانة هبت من رقدتها.

بعد ظهر اليوم العشرين من أيار بقليل أرسل الوزير المفوض الألماني الى برلين برقية "طارئة سرية للغاية" ذكر فيها أن وزير الخارجية الجيكي قد أبلغه قبل قليل بالتلغون أن حكومته "قلقة من الأنباء التي تشير الى وجود وحدات عسكرية [ألمانية] في سكونيا" وذكر أنه أجاب الوزير "لا داعي للقلق

مطلقاً" إلا أنه طلب من برلين إعلامه حالاً إن كان يوجد شيء ما. كان هذا أول مراسلة من سلسلة مراسلات دبلوماسية محمومة في عطلة الأسبوع هزت كيان أوروبا وداومتها بعاصفة خوفٍ من قرب قيام هتلر بحركة جديدة تؤدي هذه المرة إلى حرب عامة. وأساس المعلومات التي تسلمتها الإستخبارات البريطانية والجيكية وهي أن الجيش الألماني يتحشد على الحدود الجيكية لم يكشف عنها حتى الآن قدر ما أعلم. فبالنسبة إلى أوروبا التي مازالت تترنح تحت صدمة الإحتلال العسكري الألماني للنمسا، مازال يوجد في الجو ما ينذر بالشر المستطير. ففي ١٩ أيار نشرت صحيفة في (لايبيك) نبأً عن تحركات عسكرية ألمانية. وفي ٩ أيار أعلن زعيم السودان هنلاين عن إنقطاع المفاوضات بين حزبه والحكومة الجيكية. وعلم أنه توقف في برختسغادن لمقابلة هتلر في طريق عودته من لندن وأنه مازال هناك. وجرت حوادث إطلاق نار في أنحاء من أرض السودان. وإستمرت حرب (گوبلز) الدعائية طوال شهر أيار تختلق حكايات مفزعة عن "الإرهاب الجيكي" ضد السودان الألمان. وبدا وكأن التوتر قد بلغ ذروته.

ومع وجود بعض التحركات في الجنود الألمان بسبب مناورات الربيع ولاسيما في المناطق الشرقية، فإنه لم يتم دليل قطّ مما ضبط من الوثائق الألمانية مايشير إلى أي تحشيد جديد فجائي من القوات المسلحة على الحدود الجيكية في هذا الوقت بالذات. بالعكس، فهناك وثيقتان من أوراق وزارة الخارجية الألمانية مؤرختان في ٢١ أيار تتضمنان تأكيدات سرية إلى فلهلمشتراسه من الكولونيل (يودل) التابع للقيادة العليا بعدم وجود أي تحشيدات لا في (سيليزيا) ولا في النمسا السفلى. أكد يودل في رسائل لن تستخدم لإقناع الجهات الأجنبية. أنه لا يوجد شيء من هذا القبيل "خلا المناورات السنوية المعتادة وقت السلم"^(١١). وليس معنى ذلك أن الحدود الجيكية خالية من الجنود الألمانية. فقد رأينا أن القيادة العليا أعلنت هتلر في ١٦ أيار رداً على سؤاله المستعجل، بوجود إثنتي عشرة فرقة ألمانية على الحدود الجيكية "مستعدة للزحف خلال إثنتي عشرة ساعة".

أيمكن أن يكون الجيكيون أو البريطانيون قد توصلوا عن طريق إستخباراتهم إلى البرقيات التي تبودلت فيها هذه المعلومات؟ وانهم علموا بالأمر التوجيهي للقضية (الخضراء) التي أرسلها (كايتل) لمصادفة هتلر في ٢٠ أيار؟ ففي اليوم التالي أخبر الجنرال كريتشوي Krejci رئيس هيئة أركان الجيش الجيكي، الملحق العسكري الألماني العقيد تاوسان Toussaint في براغ بأن لديه "معلومات لا يتطرق إليها الشك حول حصول تحشيد لعدد من الفرق يتراوح ما بين الثماني والعشر في مقاطعة سكسونيا"^(١٢).

وعدد الفرق لا يعدو الحقيقة كثيراً حتى وإن كانت المعلومات عن مواقع تحشيداتها وتوزيعها غير دقيقة نوعاً ما. ومهما يكن من أمر ففي ٢٠ أيار عقدت الحكومة الجيكية إجتماعاً طارئاً في قصر (هرادشين Hradschin) في براغ برئاسة رئيس الجمهورية (بينيش) وقررت التعبئة الجزئية الفورية.

١١- المرجع السالف: الص ٣٠٧-٣٠٨.

١٢- تقرير الوزير المفوض الألماني وملحقه العسكري في براغ ٢١ أيار ١٩٣٨، المرجع السالف الص ٣٠٩-٣١٠.

ودعيت وجبة واحدة للخدمة وجرت تعبئة وحدات إحتياطية من صنوف معينة. لم تكن الحكومة الجيكية تنوي الإستسلام دون حرب على الضد من الحكومة النمساوية قبل شهرين. أسلمت التعبئة الجيكية -وان كانت جزئية- هتلر الى نوية غضب جامع لم تخفف من غلوائه التقارير التي وردته في أوبرسالزبرگ من وزارة الخارجية الألمانية وكلها تنبئه بالمقابلات المتواصلة التي يقوم بها سفيرا فرنسا وبريطانيا فيها يندران ألمانيا بأن الإعتداء على چيكوسلوفاكيا يعني حرباً أوروبية.

لم يقع الألمان تحت ضغط دبلوماسي عنيف متواصل كما استخدمه البريطانيون خلال عطلة نهاية الأسبوع هذه. كان رئيس الحكومة البريطانية چمبرلين قد أرسل الى برلين السير نقيب هندرسن Nevile Hinderson سفيراً لكي يستخدم حذقه بوصفه دبلوماسياً محترفاً، لتهدئة هتلر، فأستخدمه والحق يقال الى أقصى حد. راح هذا السفير يختلف الى وزارة الخارجية الألمانية بإستمرار للإستفسار عن تحركات الجنود الألمان وينصح بالحذر، وليس ثم شك من انه كان مدفوعاً من اللورد هاليفاكس ووزارة الخارجية البريطانية لأن هذا السفير الدمث المجامل لم يكن عطفاً لچيكوسلوفاكيا كما يعرف ذلك عنه كل من اتصل به. قابل ريننتروب مرتين في ٢١ أيار. وفي اليوم التالي مع أنه يوم أحد- قابل وكيل الوزارة (فايسيكر)- لأن ريننتروب أستدعي للمثول بين يدي هتلر على جناح السرعة في أوبرسالزبرگ ليلسلمه رسالة شخصية من هاليفاكس يؤكد فيها خطورة الوضع. وفي لندن إستدعى وزير الخارجية السفير الألماني مساء السبت وشرح له مدى خطورة الساعة.

كل هذه الإتصالات البريطانية لم تفت ملاحظة الألمان. كما ذكر السفير فون ديركسن في رسالته بعد رؤيته هاليفاكس قال إن الحكومة البريطانية الواثقة بأن فرنسا ستخف الى معونة چيكوسلوفاكيا، قد لاتفعل هي فعل حليفاتها كما يستطيع ان يؤكد. وأقصى مرحلة يبلغها البريطانيون في هذا المضمار هو أن يندروا ويتعهدوا كما فعل هاليفاكس. يقول ديركسن "في حالة صدام أوروبي يتعذر التكهن بإنجرار ببريطانيا اليه؟"^(١٣)

وهذا هو الواقع الذي بلغته حكومة چمبرلين. هذا هو المدى الذي عاجلت به أطماع هتلر الى أن فات الأوان لوقفها. وكان إعتقاد المؤلف وهو في برلين إبتداءً من تلك اللحظة حتى النهاية، لو أن چمبرلين أعلم هتلر بصراحة أن بريطانيا ستقدم الى ما اقدمت عليه بالأخير. ووقفت في وجه العدوان النازي لما سدر الزعيم في مغامراته التي أدت الى الحرب العالمية الثانية. وقد قوي إعتقادي هذا بعد مدارستي الوثائق السرية الألمانية. تلکم هي غلطة رئيس الوزراء البريطاني العظمى القتالة. كان هتلر فريسة الكآبة في مقره الجبلي في أعالي برختسگادن. وقد أحس إحساساً عميقاً بالمدلة والتحقيق الذي أصابه من الجيک وبالمساندة التي ظفروا بها من لندن وپاریس، حتى موسكو وتلك

١٣- تقرير السفير فون ديركسن المؤرخ ٢٢ أيار ١٩٣٨ المرجع السالف الص ٣٢٢-٣٢٣.

ثالثة الأثافي. تلك القارعة التي لا يقدر غيرها على إيصاله الى هذه الحالة من السويدةء وسوء المزاج. وكان معظم ثورته متأتياً من اتهامه مسبقاً بعدوان لم يرتكبه بعد في حين كان يعد له العدة بعد ان صحّ عزمه عليه. في نهار الأحد هذا قام بدراسة الخطة الجديدة (للقضية الخضراء) التي بعث بها (كايتل)، إلا أنها لم تكن قابلة للتنفيذ حالاً وابتلع عنجهيته وأمر وزارة الخارجية في برلين أن تبلغ المبعوث الدبلوماسي الچيكي في ٢٣ أيار (الإثنين) أن ألمانيا ليست لديها نيّات عدوانية تجاه چيكوسلوفاكيا وأن الأنباء عن تحشدات عسكرية ألمانية على حدودها لا أساس لها من الصحة. وتنفس قادة الدول الصعداء في كل من براغ ولندن وپاريس وموسكو. لقد تم التغلب على الأزيمة. ولقن هتلر درساً. وعليه الآن أن يعلم أنه لن يخرج من العدوان سالمًا بالسهولة التي خرج منه بالنمسا. فيما ما أقل ما عرف هؤلاء الساسة عن الدكتاتور النازي!

بعد فترة كآبته في أوبرسالزبرگ التي دامت بضعة أيام نما خلالهما في نفسه غيظ محرق للثأر من چيكوسلوفاكيا وبوجه خاص من الرئيس بينيش الذي كان يعتقد أنه تعمد إذلاله شخصياً. فظهر فجأة في برلين في ٢٨ أيار واستدعى الى المستشارية القادة الأقدمين للقوات المسلحة ليسمعهم قراراً خطيراً. أعلنه هو نفسه في خطبة له أمام الرايخشتاغ بعد ثمانية أشهر على الشكل التالي "لقد عزمت عزماً نهائياً لامرد له على حل مسألة السوديت بالقوة:

في الثامن والعشرين من أيار أمرت بما يلي.

اولاً: ان الإستعداد لعمل عسكري ضد هذه الدولة يجب ان يتم في الثاني من تشرين الأول.

ثانياً: أن يتوسع في بناء إستحكاماتنا الغربية توسعاً كبيراً ويستعجل فيها جداً...

ان تعبئة (٩٦) فرقة قد تم التخطيط لها وشرع فيه...^(١٤)

وجلجل صوته أمام أعوانه گورنگ وكايتل ويراوختش وبيك وأمير البحر رايدر وريينتروب ونيورات

"ان عزمي لا يتزعزع قط في مسح چيكوسلوفاكيا من الخارطة!"^(١٥)

وهكذا جيء بالقضية الخضراء واعيد تنقيحها وتتابع يوميات (يودل) ما كان يجول برأس هتلر

المحموم الحقود "إن نية الزعيم في التخلي عن تنشيط المسألة الچيكية قد تبدلت، بسبب التحشيد

العسكري الچيكي في ٢١ أيار الذي حدث دون وجود أي تهديد ألماني ودون ان يستدعيه سبب مهما

ضؤل شأنه ويسبب ضبط النفس الذي تحلت به ألمانيا آل الأمر الى أن يفقد الزعيم منزلته وهو ما

لا يقبل ان يذوق مرارته ثانية ولذلك نشر الأمر التوجيهي (للخضراء) في ٣٠ أيار^(١٦).

إن تفاصيل الأمر التوجيهي للقضية الخضراء الذي وقعه هتلر في ٣٠ أيار لا يختلف في الجوهر عن

١٤- خطبة الرايخشتاغ في ٣٠ كانون الثاني، ١٩٣٩ في (نظامي الجديد) نشره: "روسي دي سال: ص ٥٦٣

١٥- روى فرتيز ويدمان: Fritz Wiedmann أحد مرافقي هتلر وكان موجوداً قال مقسماً ان هتلر كان "مضعف الحواس لدن

سمع بتصريح بينيش [مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٥ الص ٧٤٣-٧٤٤: الوثيقة ٣٠٣٧ PS].

١٦- يومية (يودل) غفل عن التاريخ [محاکمات مجرمي الحرب الكبار ج ٢٨ ص ٣٧٢: الوثيقة ١٧٨٠ PS].



المارشال كايتل

المسودة التي قدمت لهتلر قبل تسعة أيام إلا أنه يتضمن تغييرين هاميين. فقد شطبت عبارة واحدة من النسخة الأولى المؤرخة (٢١ أيار) وهي "لست انوي سحق چيكوسلوفاكيا في المستقبل القريب" ووضع في ديباجة الأمر الجديد الافتتاحية التالية "إن قراري الجازم الذي لاسبيل للرجوع عنه هو سحق چيكوسلوفاكيا بعمل عسكري في المستقبل القريب".

ومعنى "المستقبل القريب" يفسره (كايتل) في رسالة ختامية. فقد أمر "إن تنفيذ (الخضراء) يجب ان يتأكد في ١ تشرين الأول على أكثر تقدير^(١٧). وكان تاريخاً سيلازم هتلر في أيام بؤسه ونعيمه. في أزمة بعد أخرى، وفي شفا الحرب دونما نكوص الى الخلف.

-٣-

تردد القادة

دون يودل في يومياته المؤرخة ٣٠ آذار ان هتلر وقع الأمر التوجيهي الجديد "للخضراء" وبما أنه يتطلب "توغلاً فورياً في داخلية چيكوسلوفاكيا في يوم (س)... فمن الضروري أن تغير أهداف الجيش السابقة تغييراً كبيراً" بعد أن دون هذا، أضاف الفقرة التالية:

"إن إختلاف وجهات النظر كله يغدو حاداً مرة أخرى بين إلحاح الزعيم على قيامنا بها هذه السنة، وبين رأي الجيش في اننا لانستطيع في الوقت الحاضر. لأن الإحتمال الغالب هو أن تتدخل الدول الغربية، ونحن لم نصل بعد الى نقطة التساوي^(١٨)".

لقد وضع ضابط الأركان الدقيق الملاحظة أصبعه على شيء جديد بين هتلر وبين عدد من أرفع الجنرالات مناصب في الجيش. كانت معارضة خطط الزعيم المصابة بعدوى داء العظمة الهادفة الى

١٧- المبرز رقم (١١) من القضية الخضراء [مؤامرة... ج٣ ص٣١٥-٣٢٠، الوثيقة PS ٣٨٨] كذلك [وثائق من سياسة ألمانيا الخارجية ج٢ الص ٣٥٧-٣٦٢].

١٨- محاكمة مجرمي الحرب الكبار ج٢٨ ص٣٧٣، يوجد ثم النص الألماني وهناك ترجمة إنكليزية لليومية نفسها عملها الخبراء في [مؤامرة... ج٤ الص ٣٦٠-٣٧٠].

الإعتداء، يتراًسها الجنرال (لودفيك بيك) رئيس هيئة الأركان العامة للجيش، الذي سيتزعم من الآن ما اطلق عليه حركة مقاومة هتلر في الرايخ الثالث. وبعدها بزمين قدر لهذا الجنرال الذكي الحسّاس المستقيم الخلق لكن المتردد، أن يبني كفاحه على أسس واسعة. لقد كان حتى أواخر ربيع عام ١٩٣٨، بعد أكثر من أربع سنوات من الحكم القومي الإشتراكي، يعارض هتلر في النطاق المهني الضيق لا غير. ويبني معارضته على أن ألمانيا لم تبلغ بعد من القوة ما يمكنها أن تقف في وجه الدول الغربية وروسيا.

رأينا أن بيك يرحب بقدم هتلر. ويشيد علناً بالزعيم لإعادة نظام التجنيد في الجيش الألماني متحدياً فرساي. وليذكر القاريء أيضاً أنه عندما كان أمر لواء مغمور سنة ١٩٣٠، تخطى حدود عمله مندفعاً في الدفاع عن ثلاثة من ضباطه اتهموا بالخيانة بوصفهم دعاة متحمسين للنازية في القوات المسلحة وشهد بالفعل لمصلحتهم أمام محكمة الجنايات بعد أن سبقه هتلر شاهداً منذراً بأن "رؤوساً ستتدرج" عندما يصل الى الحكم. لم يكن عدوان هتلر على النمسا (وقد سانده بيك) وانما سقوط رأس الجنرال فون فريتش بعد مكيدة الكشتاپو الذي جعله يصحو على الواقع وانطلق فكره من قوقعته وبدأ يرى لأول مرة أن سياسة هتلر في المخاطرة عمداً بالحرب مع بريطانيا وفرنسا وروسيا، خلافاً لنصائح الجنرالات القادة ستؤول إن طبقت الى دمار ألمانيا.

علم بيك بإجتماع كايتل وهتلر في ٢١ نيسان. حيث أمرت القوات المسلحة بالتعجيل في وضع الخطط للهجوم على چيكوسلوفاكيا. وكتب في ٥ أيار أول مذكرة من سلسلة متتابعة تالية، للجنرال فون (براوختش) القائد العام الجديد. معارضاً بشدة أي عمل من هذا القبيل^(١٩).

وكانت مذكرات رائعة صريحة بما تضمنته من الوقائع السيئة وملأى بالمنطق الفعلي الرصين والعلل التي لاتدحض ومع أن (بيك) بالغ في تخمين قوة بريطانيا وفرنسا وعزمهما وفي ذكاء زعمائهما السياسيين وقوة الجيش الفرنسي. وبدا بالأخير أنه كان مخطئاً في حسابه بعد النتائج التي تمخضت بها المسألة الجيكية لكن تكهناته البعيدة جداً كانت -قدر ما يتعلق الأمر بألمانيا- دقيقة دقة الموت! كتب في ٥ أيار في مذكراته أنه على يقين من قيام حرب أوروبية إذا هاجمت ألمانيا چيكوسلوفاكيا. وفي هذه الحرب ستواجه ألمانيا كلاً من بريطانيا وفرنسا وروسيا. كما ستكون الولايات المتحدة مستودع سلاح للديمقراطيات الغربية. ان ألمانيا لايمكن أن تريح مثل هذه الحرب بالطبع. وافتقارها الى المواد الأولية وحده كفيل بان يجعل النصر مستحيلاً. ويبن أن وضع ألمانيا العسكري-الإقتصادي "هو الآن أسوأ مما كان في ١٩١٧-١٩١٨" عندما دبّ الإنهيار في جيوش القيصر.

وكان (بيك) في ٢٨ أيار أحد الجنرالات الذين استدعوا الى دار المستشارية بعد "أزمة أيار"

١٩- نصوص المذكرات اوردها فلنكانك فورستر في كتابه Ein Genasl Kasmpt gegen den Kreis الص ٨١-١١٩.

للإصغاء الى عاصفة هتلر ونيتته في مسح چيكوسلوفاكيا من الخارطة في الخريف القادم. ودون ملاحظات دقيقة من خطبة هتلر. وبعدها بيومين كتب مذكرة أقوى وأحد لهجة من سابقتها في إنتقاد برنامج هتلر مادة مادة. وسلمها الى براوختش في اليوم الذي وقّع الأمر التوجيهي الجديد (للقضية الخضراء) الذي تعين فيه يوم ١ تشرين الأول للهجوم. واران أن يتأكد من أن قائده العام الشديد الحذر سيتفهمها بدقة فلم يكتف بتقديمها بل تلاها عليه شخصياً كلمة كلمة. وبالآخر اوضح (لبرواختش) الحائر، الذي يشكو بعض الضحولة في التفكير، ان ثم أزمة في داخل "القادة العسكريين الكبار" نجم عنها فوضى. وان لم تتم السيطرة عليها الآن سيكون مصير الجيش وبالتالي مصير ألمانيا "أسود" وبعدها ببضعة أيام في ٣ حزيران دفع (بيك) بمذكرة أخرى الى براوختش صارحه فيها أن الأمر التوجيهي (للقضية الخضراء) هو "غير صحيح عسكرياً" وأن هيئة الأركان قد رفضته.

لكن هتلر كان مندفعاً في الأمر. ويكشف ملف "الخضراء" الذي وقع في قبضة الحلفاء كم بلغ به الهياج بتقدم الصيف. تراه يأمر بأن المناورات العسكرية الخريفية المعتادة يجب أن يستعجل بها حتى يكون الجيش أهلاً لدخول المعركة. وأن تجرى تمرينات خاصة "في إقتحام الإستحكامات بهجوم مباغت". وابلغ الجنرال كايتل "أن الزعيم يلح باستمرار على ضرورة التعجيل بأقصى ما يمكن في انجاز أعمال الإستحكامات من جهة الغرب".

ويعود هتلر ليسأل في ٩ حزيران عن المزيد من المعلومات بخصوص التسليح الجيكي ويتسلم حالاً تقريراً مفصلاً عن كل سلاح متصور صغير وكبير، يستخدمه ذلك الجيش الجيكي. وفي اليوم نفسه تراه يسأل: "هل أن الإستحكامات الجيكية بما فيها من الجنود الآن قليلة المناعة؟" كانت معنوياته- وهو في قصره الخلوي الجبلي يقضي الصيف محاطاً بحاشيته المخلصة- ترتفع وتنخفض وهو يلهو بفكرة الحرب. وفي ١٨ حزيران تراه يصدر "أمرأ توجيهياً عاماً" يتعلق "بالخضراء":

"ليس ثم خطر حرب وقائية على ألمانيا... سأقرر القيام بعمل ضدّ چيكوسلوفاكيا عندما يتأكد لي بما لايقبل الشك... أن فرنسا لن تزحف وأن بريطانيا لن تتدخل".

على أنه في ٧ حزيران كان يقلب هذه "الإعتبارات" فيما يجب عمله إن تدخلت فرنسا وبريطانيا. يقول: "الإعتبار الأول، هو الثبات في الإستحكامات الغربية" حتى تسحق چيكوسلوفاكيا، ويعود ممكناً نقل الجنود الى الجبهة الغربية. أما واقع عدم وجود جيش متيسر للصمود في الإستحكامات الغربية فلا يفرض نفسه أبداً على تفكيره المحموم، ويرتأي أن "روسيا ستدخل على أقرب الاحتمالات" كما تجده الآن غير واثق تماماً من وقوف بولندا موقف المتفرج. هذه الاحتمالات يجب معالجتها. إلا انه لايبين الوسيلة.

ويظهر أن هتلر المنعزل بعض الشيء في أوبرسالزبرگ لم يسمع بعد بالتذمر اللاغط الذي كان يشيع في أوساط أقطاب هيئة الأركان العامة. لقد ادرك رئيس الأركان في أوساط الصيف أن القائد العام المذبذب الأهواء لم يوصل رأيه الى (الزعيم) رغم ملاحقته بمذكراته. وبهذا قرر في أوساط تموز أن

يقوم بآخر محاولة يائسة لوضع حدّ للمسألة بأيّ صورة كانت. فكتب في ١٦ تموز آخر مذكرة (لبراوختش). وطلب فيها أن يصارح الجيش هتلر بوجود وقف الإستعداد للحرب.

"بإدراك تام بخطورة مثل هذه الخطوة ونظراً لما تتطلبه مسؤولياتي أيضاً، اشعر أن واجبي يحتم عليّ الطلب بإلحاح أن يبادر القائد الأعلى للقوات المسلحة [هتلر] بإيقاف الإستعداد للحرب، ونبذ فكرة حلّ المسألة الجيكية بالقوة، حتى يتغير الموقف العسكري تغييراً جذرياً. وأنا في هذه الساعة اعتبرها محاولة يائسة فاشلة حتماً. ويشاركني في هذه النظرة كل القادة الأقدمين في هيئة الأركان".

حمل (بيك) مذكرته الى (براوختش) شخصياً وفسّرها له شفويّاً واشفّعها بإقتراحات أخرى بعمل موحد يقوم به جنرالات الجيش إن ظلّ هتلر مصراً. اقترح بصورة صريحة أن يقوم الجنرالات القادة في هذه الحالة بتقديم إستقالة إجتماعية على الفور. وبرز للمرة الأولى في تاريخ الرايخ الثالث سؤالاً خيّم بكلّك على كل محاكمات نورمبرج وهو: هل يدين الضابط بولاً أعلى من الولاء الذين يدين به للزعيم؟ في نورمبرج اعتذر عشرات من الجنرالات عن جرائم الحرب التي اقترفوها ونفوا انهم مذنبون لأن واجبهم هو تنفيذ الأوامر. إلا أن (بيك) في ١٦ تموز خالفهم في وجهة نظر كان سيبقى متمسكاً بها وعاملاً في سبيلها حتى النهاية دون أن يحالفه النجاح في أكثر الأحيان. قال: هناك "حدود" لولاء المرء للقائد الأعلى عندما يقوم الضمير والإدراك والمسؤولية حائلاً دون تنفيذ الأوامر وهو يشعر أن الجنرالات قد وصلوا هذا الحدّ فإن أصّر هتلر على الحرب فعليهم أن يستقبلوا كافة وفي هذه الحالة يتعذر على هتلر شنّ الحرب. لعدم وجود من يقود الجيش.

كان رئيس هيئة أركان حرب الجيش ثائراً الآن بشكل لم يعهد فيه من قبل والمقاييس تنهوى أمام عينيه. لقد تبين له في الأخير أن الخطر المحدق بالشعب الألماني، هو أكثر من مجرد معارضة رئيس دولة هستيري دفعه عامل استياء مفاجيء الى مهاجمة شعب صغير مجاور والمخاطرة باثارة حرب عظيمة.

كل حماقات الرايخ الثالث وطغيانه وإرهابه وفساده واحتقاره للفضائل المسيحية العتيبة كلها اشقرت في وجه هذا الجنرال الذي كان بالأمس من الموالين للنازية. وبعدها بثلاثة أيام (١٩ تموز) ذهب مرة أخرى الى (براوختش) لينفث ما في صدره من الحقيقة التي المتجلية له.

اضاف الى إقتراحه الملحّ بوجود إعلان الجنرالات الإضراب لمنع هتلر من إثارة حرب، إقتراحاً آخر وهو أن واجبهم يتطلب منهم تنظيف الرايخ الثالث. يجب أن يتحرر الشعب الألماني والزعيم نفسه من إرهاب الحرس الأسود وقادة الحزب النازي، ويجب أن يقام مجتمع ودولة يحكمهما القانون. ولخصّ برنامجه الإصلاحية بالآتي:

"بالنسبة الى الزعيم: ضدّ الحرب ضدّ الحكم الدكتاتوري، السلام مع الكنيسة، حرية الرأي. نهاية لإرهاب الشرطة السرية. إقامة العدل تخفيض مخصصات الحزب الى النصف، إيقاف بناء القصور، إنشاء بيوت سكنى للفقراء والناس العاديين. والمزيد من النزاهة والبساطة البروسية".

كان (بيك) على درجة من السذاجة السياسية بحيث خفي عنه أن هتلر هو المسؤول شخصياً أكثر من اي فردٍ آخر عن حالة ألمانيا التي ثار لها ضميره الآن على أن مهمة (بيك) العاجلة هي الإستمرار في حث (براوختش) المتردد، على تقديم تحذير من الجيش الى هتلر بطلب وقف إستعداده للحرب. ولدعم إقتراحه هذا رتبَ إجتماعاً سرياً لجميع الجنرالات القادة في ٤ آب. وأعد خطبة رنانة يلقيها عليهم القائد العام، لضمهم كتلة واحدة في الإلحاح بإيقاف اي مغامرة نازية اخرى قد تؤدي الى صدام مسلح. أسفاً على بيك! كانت الشجاعة تعوز براوختش، فلم يتلها. وكان على بيك أن يكتفي بتلاوة مذكرة السادس عشر من تموز لتخلف إنطباعاً عميقاً في أغلبية الجنرالات. لكن لم يتخذ قرار حاسم وانفض إجتماع القادة الأعلى للجيش الألماني من دون ان يستجمعوا الشجاعة لمصارحة هتلر، كما فعل أسلافهم من قبل ازاء أباطرة هوهنزرن ومستشاري الرايخ.

على أن براوختش لم بعض اطراف شجاعته ليعرض على هتلر مذكرة بيك المؤرخة في ١٦ تموز. وكان جواب هتلر عليها، أنه لم يستدع قادة الجيش الكبار الذين يتفقون على ماجاء فيها. وانما دعا الضباط الذين يلونهم مرتبة وهم رؤساء أركان القيادات المختلفة للجيش والقوة الجوية ويؤلفون الصف الأصغر سناً وكان يعتقد أن بإمكانه الإعتماد عليهم بعد أن يسمعهم طرفاً من فنه الخطابي المقنع. وقد استقدموا فعلاً الى برغهوف في ١٠ آب (لازم هتلر قصره الجبلي طوال الصيف تقريباً) وأسمعهم بعد العشاء خطبة دامت قرابة ثلاث ساعات كما روى (يودل) الذي كان من جملة المحاضرين ووصفها في يومياته الأمانة. لكن بلاغة هتلر في هذه المناسبة لم تكن مؤثرة كما أمل. وتحدث كل من (يودل) و(مانشتاين) الذي كان حاضراً ايضاً عن "اصطدام جدي سيء من اشد ما يمكن" بين الجنرال ثون (فيتترزهايم Von Wietersheim) وهملر وكان (فيتترزهايم) أقدم جنرال بين المجتمعين. وقد تجرأ بوصفه المرشح لرئاسة أركان جيش الغرب تحت أمرة الجنرال (فلهلم آدم Wilhelm Adam) على الكلام حول المشكلة الأساسية التي تشغل بال هتلر والقيادة العليا للقوات المسلحة: وهي انه بدفع كل القوات العسكرية تقريباً لتوجيه ضربة چيكوسلوفاكيا ستبقى ألمانيا مكشوفة دون دفاع في الجبهة الغربية. وسيحتاجها الفرنسيون ويبن أن الجدار الغربي لا يمكن أن يصمد أكثر من ثلاثة أسابيع.

"[كتب يودل في يومياته] الزعيم يشور ثائره. وينفجر قائلاً: في هذه الحالة لا يكون الجيش صالحاً لأي شيء دعني اقل لك ايها السيد الجنرال [كان يصيح] إن المواضيع ستبقى صامدة، ليس ثلاثة أسابيع بل ثلاثة أعوام (٢٠)!"

بماذا ستصمد؟ لم يقل. وفي ٤ آب كتب الجنرال أدام لإجتماع القادة الأقدمين أنه لن يحصل في الغرب على أكثر من خمس فرق عاملة. وهذه لاتصمد ابداً أمام الفرنسيين. ومن المحتمل أن (فيتترزهايم) أعطى الرقم عينه في الإجتماع. إلا ان (الزعيم) لم يصغ اليه. أما يودل مع كونه ضابط

٢٠- يوميات يودل [محاكمات مجرمي الحرب الكبار ج٢٨ ص٢٧٤] الترجمة الإنكليزية في [مؤامرة... ج٤ ص٣٦٤: وثيقة ١٧٨٠ PS].

ركن حاذق فكان واقعاً تحت سحر هتلر، وقد ترك الإجتماع مستاءً جداً لأن الجنرالات لم يفهموا عبقرية (الزعيم) على ما يبدو.

"إن السبب في هذا الرأي الواهن [رأي فيسترزهايم] المنتشر لسوء الحظ في هيئات أركان الجيش إنتشاراً واسعاً، إنما يرد الى عوامل مختلفة.

فأولاً إنها [أي هيئة الأركان] مازالت مقيّدة بالذكريات القديمة وتشعر أنها مسؤولة أيضاً عن المقررات السياسية بدلاً من الطاعة وتنفيذ واجباتها العسكرية. ومما لا ينكر أنها تنهض بالواجب الثاني بإخلاصها التقليدي إلا أنها مفتقرة الى قوة الروح لأنها لا تؤمن في النهاية بعبقرية الزعيم. والمرء قد يندفع الى مقارنته بشارل الثاني عشر*.

وكحقيقة كون الماء ينحدر من فوق الى تحت، كذلك يخرج من هذه الروح الاندحارية بلحٌ بحريّ فيه ضرر سياسيّ فادح (فكل أمرء يتكلم عن التناقض بين رأي الزعيم ورأي الجنرالات)، فضلاً عن خطر ذلك على معنويات الجنود. لكنني لأشك في مقدرة الزعيم على رفع معنويات الشعب عندما تحين الساعة المناسبة^(٢١)".

وكان حربياً (بيسودل) أن يضيف الى ذلك مقدرة هتلر أيضاً على قمع الثورة التي تقوم بين الجنرالات. لقد أوضح (مانشتاين) أمام محكمة نورمبرگ سنة ١٩٤٦ أن هذا الإجتماع كان آخر إجتماع سمح فيه هتلر بمناقشة أو اسئلة من العسكريين^(٢٢).

وفي عرض عسكري في (يوتربوغ Jueterbog) في ١٥ آب، ردد هتلر للجنرالات عزمه على "حلّ" المسألة الجيكية بالقوة" ولم يجراً ضابط (أو يؤذن له) بقول كلمة واحدة في معارضته.

تبين (بيك) أنه هُزم، ويعود ذلك بصورة رئيسة الى جبن اخوانه الضباط، وفي ١٨ آب إستقال من منصب رئيس هيئة أركان الجيش وحاول استمالة (براوختش) ليحذو حذوه إلا أن قائد الجيش بات الآن واقعاً تحت سحر هتلر المغناطيسي، مدفوعاً لاشك بتأثير حماسة المرأة النازية التي ستغدو زوجه الثانية^(٢٣). كما قال عنه هاسل Hassel: "براوختش يشبك ياقته بزرّ أعلى ويقول: أنا جندي والطاعة من واجبي"^(٢٤).

من المؤلف أن إستقالة رئيس هيئة أركان الجيش في عنفوان أزمة ولاسيما شخصية محترمة جداً كالجنرال (بيك)، كانت ستثير عاصفة في الاوساط العسكرية ويتردد صداها في الخارج لتخلف ردّ فعل. لكن هتلر أظهر مكره هنا أيضاً. فقد قبل إستقالة (بيك) حالاً وإبارتياح كبير إلا أنه منع ذكر

* شارل الثاني عشر (١٦٨٢-١٧١٨) ملك السويد صاحب الفتوحات الكبيرة في أوروبا، تغلب عليه بطرس الأكبر في موقعة بولتافا. وبقي لاجئاً عند العثمانيين حتى أفتدي. وقتل في معركة مع النرويجيين.

٢١- المرجع نفسه.

٢٢- محاكمة مجرمي الحرب الكبار ج ٢٠ ص ٦٠٦.

٢٣- حصل الجنرال براوختش على طلاقه في الصيف وتزوج السيدة شارلوت شموندت في ٢٤ أيلول.

٢٤- يوميات فون هاسل ص ٦.

شيء عنها في الصحف أو حتى في جريدة الوقائع الرسمية الألمانية أو النشرة العسكرية. وأمر الجنرال المتقاعد وزملاءه الضباط أن يبقوها سراً. إذ ليس من المستحسن أن يتسرب النبأ إلى الحكومتين الفرنسية والإنكليزية عن وجود إختلاف في وجهات النظر في أعلى مراتب الجيش الألماني وفي هذه اللحظة الخطيرة. ومن المحتمل أن باريس ولندن لم تسمعا بالأمر حتى نهاية تشرين الأول عندما أعلنت الإستقالة رسمياً في برلين والمرء لايسعه إلا الإفتراض أنهم لو سمعوا في حينه فزبما سلك التاريخ منعطفاً مختلفاً وربما لم يستمر بسيااسة مهادنة هتلر الى هذا الحد.

ودفعت وطنية (بيك) وإخلاصه للجيش الى ألا يبذل مجهوداً يجذب إهتمام الرأي العام الى إستقالته. على كل حال كان يشعر بالخيبة المرة إذ لم يسند له أي جنرال من أولئك الذين وافقوه على رأيه واسندوه في معارضته الحرب، وكان يتوقع أن يحذوا حذوه ويستقبلوا. لم يحاول إقناعهم وكان- كما قال عنه (هاسل) فيما بعد. " (كلاوسفيتز * Clausewitz) خالص، ليس فيه ألمعية (بلوخر Bluecher أو (يورك Yorck)"^(٢٥) - رجل مباديء وفكر لا رجل عمل. شعر أن (براوختش) قد خذله في اللحظة الحاسمة في التاريخ الألماني، بوصفه قائداً عاماً للجيش. وهذا ما حز في نفسه. وقد نوّه كاتب سيرة حياته وصديقه بعدها بعدة سنين بـ"المرارة الشديدة" التي كانت تلوح في كلامه كلما تحدث عن قائده القديم. في هذه المناسبات كان يهز رأسه هزات أسي ويتمتم "براوختش خذلني!"^(٢٦).

كان الجنرال (فرانز هالدرا) خليفة (بيك) في رئاسة هيئة أركان الجيش العامة (لم يعلن عن تعيينه وبقي سراً عدة أسابيع حتى إنتهاء الأزمة) في الرابعة والخمسين من العمر. انحدر من أسرة عسكرية باقارية عريقة وأبوه جنرال. وقد نشأ في صنف المدفعية وخدم كضابط شاب في هيئة أركان ولي العهد الأمير (روبرخت) في الحرب العالمية الأولى. ومع صداقة لروهم ترجع الى أيام مونينخ الأولى لما بعد الحرب مما يجعله عرضة للشك في برلين، فقد ارتقى رقباً سريعاً في الجيش. حتى بلغ منصب نائب (بيك) في السنة الأخيرة. والواقع أن (بيك) هو الذي اقترحه على براوختش ليكون خلفاً له لأنه كان واثقاً من أنه يشاركه في وجهات النظر.

و(هالدرا) يكون أول باقاري وأول كاثوليكي يولى منصب رئاسة هيئة أركان حرب الجيش الألماني في سائر تاريخه. وهذا خرق شديد لتقاليد هيئة الضباط العامة البروتستانتية البروسية. كان رجلاً ذا تتبعات فكرية واسعة ويميل خاص الى الرياضيات وعلم النبات (كان أول أنطباعي عنه أنه بدا كأستاذ رياضيات أو علوم من أساتذة الجامعة). كما كان مسيحياً تقياً، وبهذه الصفات لاشك أنه كان يملك الذهن والروح اللذين يؤهلانه لإستخلاف (بيك) بجدارة واستحقاق. والمسألة هي هل يفتقر الى البراعة

* كارل فون كلاوسفيتز (١٧٨٠-١٨٣١) جنرال بروسي وستراتيجي ومؤرخ عسكري. مؤلف كتاب (في الحرب) الذي أحدث ثورة في الفكر العسكري بعد موته. كان يرى الحرب إمتداداً للدبلوماسية. وعُدّت نظرياته بنوات للحروب الحديثة.

٢٥- المرجع السالف ص٣٤٧.

٢٦- فوربيستر المرجع السالف ص١٢٢.

في إتخاذ قرار حاسم في الساعة المناسبة؟ وهل يتوفر فيه عنصر الإقدام (في حالة عدم افتقاره الى تلك الصفة) على الحنث بيمين ولائه للزعيم فيتحرك ضده في تلك الساعة؟ ذلك لأن (هالدر) وان لم يكن في مبدأ الأمر عضواً في المؤامرة المتنامية ضد هتلر (كان عالماً بها كما يبدو مثل بيك) وقد رغب في اسنادها، وأصبح بحكم منصبه اللولب الرئيس لأول مؤامرة استهدفت الاطاحة بدكتاتور الرايخ الثالث.

-٤-

ميلاد مؤامرة ضد هتلر

بعد خمس سنوات ونصف سنة من طغيان القومية الإشتراكية كان واضحاً لقلة من الألمان الذين عارضوا هتلر، أن الجيش وحده هو الذي يملك القوة المجردة للإطاحة به. فالعمال والطبقة المتوسطة، والعليا، لا يملكون الوسائل، إن شاؤوا. لم يعد للعمال منظمة خارج الحزب النازي وتكتلاته وهم بالطبع لا يملكون سلاحاً. ومع أنه كتب الكثير فيما بعد عن حركة "المقاومة" الألمانية فقد ظلت من البداية الى النهاية شيئاً صغيراً ضعيفاً يقوده والحق يقال حفنة من الشجعان المخلصين الذين لا يملكون أتباعاً. إن مجرد بقائها وإستمرارها ككيان، أمرٌ من الصعوبة بمكان في دولة بوليسية يحكمها الإرهاب والجاسوسية. زد على ذلك كيف تتمكن زمرة صغيرة (او حتى كبيرة إن وجدت) من إعلان ثورة بمواجهة رشاشات الحرس الأسود ودباباتهم وباصقات نارهم؟

في المبدأ انبثقت المعارضة بين المدنيين. فقد رأينا أن القادة العسكريين كانوا مسرورين جداً بهذا النظام الذي مزق بنود معاهدة فرساي ومنحهم فرصة الإستمرار في مهمتهم التقليدية وبناء جيش عظيم مرة أخرى. ومن مفارقات الدهر أن كبار المدنيين الذين برزوا لقيادة المعارضة كانوا قد خدموا (الزعيم) في مناصب مهمة ومعظمهم كان في المبدأ متحمساً للنازية لم يفقدوا حماسهم إلا بعد أن اخذت الحقيقة تتكشف لهم في ١٩٣٧، وهي أن هتلر كان يقود ألمانيا الى حرب لا تتمحض بغير الهزيمة.

ومن أوائل هؤلاء الذين رأوا النور (كارل غويردلر Karl Goerdeler) عمدة مدينة (لايبزك). كان المستشار (برونك) قد عينه مراقباً عاماً للأسعار وإستمر في عمله هذا ثلاث سنوات أثناء حكم هتلر. كان محافظاً ملكياً من حيث المبدأ. وپروتستانتي المذهب، قديراً جم النشاط ذكياً إلا أنه عنيد الرأي غير كتوم. انفصل عن النازيين في ١٩٣٦ بسبب معاداتهم للسامية وإنتهاج سبيل التسلح. وبعد أن إستقال من منصبه إندفع بعمل بكل قواه في معارضة هتلر ومن أولى أعماله: تجواله في فرنسا وانجلترا والولايات المتحدة في ١٩٣٧ منذراً بخطر ألمانيا النازية بشكل رزين وقور.

ورأى النور بعده بقليل متآمران آخران هما يوهانس پوپيتس Johannes Popitz وزير المال البروسي. والدكتور شاخت. كلاهما قلد أرفع وسام في الحزب النازي "شعار الشرف الذهبي" للخدمات التي قدماها في توجيه الإقتصاد الألماني للأغراض الحربية. وكلاهما بدءاً يصحوا من غفلتهما على أهداف هتلر الحقيقية في ١٩٣٨ ولم يكونا موضع ثقة من الحلقة المتزعمة للمعارضة بسبب ماضيهما وأخلاقهما. فشاخت انتهازياً الى أقصى حد، وقد دون (هاسل) في يومياته أن شاخت قادراً على "الكلام بشكل، والعمل بشكل آخر". ويقول أن فكرته هذه يشاركه بها الجنرالان (بيك) و(فون فريتش). أما (پوپيتش) فقد كان شخصية لامعة إلا أنه متقلب وهو إقتصادي شهير ومتبحر في المآثر اليونانية. وكان هو و(بيك) و(هاسل) أعضاء في "ندوة الأربعاء" وتتألف من ستة عشر مثقفاً يجتمعون مرة واحدة كل أسبوع يناقشون في الفلسفة والتاريخ والفن والعلوم والأدب، حتى أصبحوا بمرور الزمن -أو بنفاده- مركزاً من مراكز المعارضة.

وصار (اولريخ فون هاسل) بمثابة مستشار الشؤون الخارجية لقادة المقاومة. كانت تقاريره حين أرسل سفيراً الى روما أثناء الحرب الحبشية والحرب الأهلية الإسبانية -كما رأينا- مفعمة بالنصائح عن كيفية إبقاء إيطاليا في خصام مع فرنسا وبريطانيا وبالتالي الى جانب ألمانيا، وبعدها أدركه الخوف من أن حرباً مع فرنسا وبريطانيا قد تطوح بألمانيا شر مطوح. حتى التحالف مع إيطاليا فإنه لن يغير من النتيجة. لم تسمح ثقافته الواسعة ونشأته الخلقية الرفيعة لنفسه أن تحتفظ للقومية الاشتراكية المريضة بغير الزرابة والاحتقار. على أنه لم يتخل عن خدمة النظام بمحض إختياره بل طرد من السلك الدبلوماسي طرداً في التنصيف الواسعة العسكرية- السياسية- الدبلوماسية التي أمر بها هتلر في ٤ شباط ١٩٣٨، كان (هاسل) سليل أسرة نُبل هانوفرية عريقة وزوجاً لبنت الأميرال الأعظم (فون تيربيتز Von Tirpitz) مؤسس الأسطول الألماني. وسيداً من سادة المدرسة القديمة من قمة رأسه حتى أخمص قدميه. كان لطبيعة تكوينه هذا يحتاج الى صدمة نبذ النازيين له -ككثير من أبناء طبقته، ليبدو متلهفاً الى الإقدام على أي عمل للتطويح بهم. فلما فعلوا به ما فعلوا أوقف الرجل الحساس النبهي القلب كل نشاطه على هذه الغاية حتى النهاية وضحي بنفسه في سبيلها كما سنرى ولقي ميته بربرية شعاعاً.

هناك آخرون أقل شهرة وأصغر سناً وقفوا في وجه النازيين من البداية وتقاربوا تدريجاً حتى اجتمعوا ليشكلوا حلقات مقاومة متعددة. ومن زعماء مثقفي احدى الكتل المزارع (إيخالد فون كلايست Ewald von Kleist) وهو سيد مهذب ولسليل الشاعر العظيم (كلايست). وقد وحد عمله مع (ارنست نيكيش Ernst Niekisch) وهو ديمقراطي اشتراكي سابق ورئيس تحرير (المقاومة Widerstand). والإشتراكي (فابيان فون شلابرندورف Fabian von Schlabrendorf) وهو محام شاب وحفيد طبيب الملكة فكتوريا الخاص ومستشارها الشخصي الموثوق البارون (فون شتوكمار von Stokmar). كما كان ثم زعماء نقابيون سابقون امثال يوليوس ليبير Juluis Leber وياكوب كايزر Jakob Kaiser و(قلهلم

ليوشنر (Wilhelm Leuschner) الموظفان في شرطة الغشتايبو (ارتور نيبه Artur Nebe) رئيس دائرة الشرطة الجنائية (ويبرند كيزفيوس Bernd Gisevius) وهو ضابط شرطة شاب لامع، أصبحا مساعدين ثمينين عندما قطعت المؤامرات شوطاً. كان ثانيهما موضع إعجاب وإكبار الإدعاء العام الأمريكي في محاكمات نورمبرغ. وقد كتب كتاباً ألقى ضوءاً باهراً على المؤامرات التي حيكت ضد هتلر، وإن لم يمنحه أو يمنح كتابه معظم المؤرخين أي منزلة من التقدير أو الإهتمام.

هناك عدد من أبناء أسر عريقة في ألمانيا ومنهم الكونت هلموث فون مولتكه (Helmuth von Moltke)، وهو ابن حفيد لأخ الفيلد مارشال الشهير. وقد أُلّف هذا فيما بعد كتلة من الشبان المثاليين عرفت باسم حلقة (كرايساو Kreisau)، والكونت ألبريخت برنشتورف (Albrecht Bernstorff) ابن أخ السفير الألماني في واشنطن أثناء الحرب العامة الأولى، وفرايهر كارل لودفيك فون غوتنبرغ (Freiherr Karl Ludwig von Guttenberg) رئيس تحرير مجلة شهرية كاثوليكية جريئة، وراعي الكنيسة (ديتريش بنهويفر Dietrich Benhoeffer) وهو سليل أسرة رجال دين پروتستانتية مشهورة من جهة أمه وأبيه كان يعتبر هتلر منكرًا للمسيح ويؤمن بأن من واجب المسيحي "القضاء عليه".

ظل كل هؤلاء الرجال الشجعان تقريباً، يواصلون الكفاح حتى أُلقي القبض عليهم وعذبوا تعذيباً همجياً ثم اعدموا الحياة شتقاً أو على النطع بالفاس، أو قتلوا برصاص الحرس الأسود.

ظلت هذه النواة الصغيرة من المدنيين ردحاً طويلاً لا تحقق نجاحاً يذكر في إجتناب الجيش الى عملها. وكما شهد الفيلد مارشال فون بلومبرغ في نورمبرغ قال "قبل عام ١٩٣٨-١٩٣٩ لم يعارض الجنرالات الألمان هتلر. اذ لم يكن ثم سبب معقول لمقاومته، مادام حقق النتائج التي أرادوها". لقد وجد إتصال ما بين (گويردلر) والجنرال (فون هامرشتاين) إلا أن القائد العام الأسبق للجيش الألماني كان متقاعداً منذ ١٩٣٤ ونفوذه قليل على الجنرالات العاملين. كذلك كان شلابرندورف قد أتصل في أوائل حكم هتلر بالكولونيل (هانس اوشتر Hans Oster) رئيس مساعدي الأدميرال (كاناريس) في مكتب الإستخبارات التابع للقيادة العليا للقوات المسلحة ووجده عدواً لدوداً للنازية راغباً في محاولة ربط البرزخ بين المدنيين والعسكريين بجسر. على أن الأمر لم يتبلور حتى في شتاء ١٩٣٧-١٩٣٨ عندما تعرض الجنرالات الى صدمات متعاقبة أحدثها فيهم قرار هتلر بالخروج الى الحرب، وهزه القيادة العسكرية التي استولى عليها، ومعاملته المهينة للجنرال فون فريتش. بحيث باتوا يدركون خطر الدكتاتور النازي على ألمانيا. وزادت في صحتهم إستقالة الجنرال (بيك) في أواخر آب ١٩٣٨ عندما تعاطم خطر الأزمة الجيكوسلوفاكية وإن لم يحد حذوه واحداً من زملائه الضباط فيستيقنوا كما أمل فقد اتضح حالاً أن رئيس هيئة الأركان المعتزل هو الشخص الوحيد الذي يمكن أن يلتف حوله الجنرالات الناقمون ورجال المقاومة المدنيون. فكلما الكتلتين تثقان به وتحترمانه.

هناك إعتبار آخر كان واضحاً للفريقين. العمل على كبح جماح هتلر يستلزم القوة الآن، ولا يملك القوة إلا الجيش. ولكن من في الجيش من يستطيع حشده؟ ليس (هامرشتاين) ولا (بيك) لأنهما متقاعدان،

وادرکوا أن ما يحتاجونه هو ضم جنرالات يقودون في الوقت الحاضر قطعات عاملة تكون مقراتهم داخل برلين أو ضواحيها وبهذا يمكنهم القيام بعمل مؤثر حال صدور الإشارة. والجنرال (هالدر) رئيس الأركان الجديد لا يملك قطعات تحت قيادته مباشرة والجنرال براوختش في يده الجيش كله إلا أنه غير موثوق به تماماً. وقد تكون سلطته مفيدة لكن لا يمكن أن يدخلوه إلى صفهم إلا في آخر لحظة. وشاءت الصدفة أن يكتشف بسرعة جنرالات ذوو قيادات هامة راغبون في المساعدة فضموا إلى صفوف المتأمرين. كان ثلاثة منهم على رأس قيادات حيوية لنجاح المغامرة: وهم الجنرال (فون فيتزلين) قائد المنطقة العسكرية الثالثة Wehrkreis III المهمة جداً التي تشمل برلين والمناطق المجاورة والمحيطة بها. والجنرال الكونت إريخ فون بركدورف-أهلفلد Erich von Brockdorff Ahlefeld قائد حامية بوتسدام التي تتكون من فرقة المشاة الثالثة والعشرين. والجنرال إريخ هويپنر Erick Hoepner الذي يقود فرقة آلية مصفحة في (ثورنجا) بإمكانها عند الضرورة أن تصد أي تحشيد من الحرس الأسود يحاول الزحف من مونيخ على برلين لإستخلاصها.

وكانت خطة المؤتمرين كما آلت إليه في نهاية آب، إلقاء القبض على هتلر ساعة إصداره الأمر الأخير للهجوم على چيكوسلوفاكيا. وجره إلى واحدة من محاكم أمنه الشعبية بتهمة محاولته جر ألمانيا نزقاً وطيشاً إلى حرب أوروبية ولهذا لا يعود أهلاً للحكم. وفي الوقت نفسه يقام لفترة قصيرة حكم دكتاتوري عسكري، ثم تؤلف حكومة مؤقتة يرأسها شخصية مدنية معروفة، وبعدها تؤلف حكومة ديمقراطية محافظة.

هناك إعتباران يتوقف عليهما نجاح الانقلاب، ويعتمدان على الجنرالين (هالدر) و(بيك) الأول منهما كان مؤقتاً للحركة فقد تفاهم مع القيادة العليا للقوات المسلحة أن يعطى له شخصياً إشارة قبل ثمان وأربعين ساعة من تعميم هتلر أمره الأخير بالهجوم على چيكوسلوفاكيا. وهو ما كان سيتيح له الوقت الكافي لتنفيذ المؤامرة قبل أن تحتاز القطعات خط الحدود الشيكية. وبهذا يتم إلقاء القبض على هتلر وفي الوقت نفسه يحول دون خطوة قاضية قد تؤدي إلى الحرب. والعامل الثاني أن يتمكن (بيك) من إقناع الجنرالات في زمن أسبق والشعب الألماني في زمن تال (أثناء محاكمة هتلر المنتواة) بأن هجوماً على چيكوسلوفاكيا قد يُفحم بريطانيا وفرنسا وبهذا تنشب حرب أوروبية ليست ألمانيا مستعدة لها وستخسرهما حتماً. كان هذا عبء مذكراته طوال الصيف وهو الآن قاعدة كل ما تأهب الآن لعلمه: إبعاد ألمانيا عن حرب أوروبية ستؤدي بها حتماً إلى الدمار بطريق التطويح بهتلر.

أسفاً على بيك! وأسفاً عن مستقبل معظم بلاد العالم كان هتلر، لا رئيس الأركان المستقيل، الأدق نظرة في احتمالات نشوب حرب كبيرة. كان (بيك) المثقف الأوروبي الواقف على التاريخ يعجز عن تصور قيام بريطانيا وفرنسا بملء رغبتهما - بتضحية مصالحهما الذاتية عن طريق عدم التدخل في حالة هجوم ألمانيا على چيكوسلوفاكيا. كان ملماً بالتاريخ واقفاً على أحداثه. إلا أنه لا يعرف شيئاً عن السياسة المعاصرة. أمّا هتلر فكان بها بصيراً. وقد تعزز إعتقاده منذ زمن طويل بصحة إستنتاجه

وهو أن رئيس الوزراء جمبرلين لن يتردد في تقريب چيكوسلوفاكيا ذبيحةً في سبيل يفادي الحرب، وأن فرنسا لن تقوم في هذه الحالة بإيفاء بتعهداتها لبراغ بموجب المعاهدة.

كان قلهلمشتراسه مطلعاً على تقارير نشرت في صحف نيويورك منذ ١٤ أيار، نقل فيها مراسلوها "أحاديث خاصة" جرت على مائدة غداء مع جمبرلين في منزل الليدي أستور Astor. كتب المراسلون أن الرئيس البريطاني قال لن تقوم بريطانيا ولا فرنسا ولا روسيا على أغلب الإحتمال بمعونة چيكوسلوفاكيا في حالة هجوم ألماني. وأن بريطانيا تحبذ لمصلحة السلم أن تُقتطع أرض السودان وتُضمّ إلى ألمانيا. ورغم الأسئلة الساخطة في مجلس العموم لاحظ الألمان أن جمبرلين لم ينكر صحة التقارير الأمريكية.

وفي ١ حزيران تكلم رئيس الوزراء مع مراسلين بريطانيين كان حديثاً خاصاً في أجزاء منه. وبعدها بيومين نشرت (التايمس) أول إفئتاحياتها التي ساعدت في تصدّع الموقف الجيكي. حين دعت الحكومة الجيكية إلى منح "حق تقرير المصير" لأقليات البلاد "وإن أدى إلى انفصالها عن چيكوسلوفاكيا"، واقترحت لأول مرة اللجوء إلى الإستفتاءات كوسيلة لمعرفة رغبة السودان وغيرهم. وبعدها بأيام قليلة أعلنت السفارة الألمانية في لندن، برلين بأن افتتاحة (التايمس) مستوحاة من تعليقات جمبرلين الخاصة. فهي تعكس وجهات نظره. وفي ٨ حزيران أبلغ السفير (فون ديركسن) وزارة خارجيته أن حكومة جمبرلين راغبة في أن ترى مناطق السودان مقتطعة من چيكوسلوفاكيا شريطة ان يكون ذلك بعد إستفتاء "لاتعيينه إجراءات عنيفة قسرية من الطرف الألماني" (٢٧).

كل هذا كان مما يشتهيته هتلر ويرضيه ولم تكن الأنباء من روسيا سيئة أبداً. ففي أواخر حزيران كان السفير الألماني في موسكو فردريك فيرنر كونت فون در شولنبرگ Friedrich Werner Count von der Schulenberg) ينبيء برلين ليس هناك إئتمال لقيام الإئتماد السوفيتي "بالدفاع عن دولة برجوازية" (٢٨) ويقصد چيكوسلوفاكيا. وفي ٣ آب أبلغ ريننتروب البعثات الدبلوماسية المهمة في الخارج "يكاد لا يوجد خطر تدخل بريطانيا وفرنسا والإئتماد السوفياتي في مسألة چيكوسلوفاكيا" (٢٩).

وفي هذا اليوم بالذات (٣ آب) بعث جمبرلين باللورد رنسيمان Runciman إلى چيكوسلوفاكيا بمهمة غريبة: ليعمل "كوسيط" في أزمة السودان. وإتفق أني كنت في براغ يوم وصوله وبعد حضوري مؤتمره الصحفي وحديثي مع أعضاء حاشيته دوئت في يومياتي ما يلي:

"تفوح من مهمة (رنسيمان) كلها رائحة خبيثة". وأشفع جمبرلين إعلانه عنها في مجلس العموم يوم ٢٦ تموز، بتعليق حافل بالمرأعة لعلّه الحديث الفريد الذي لم يسبقه مثيل في هذا المجلس. قال رئيس الحكومة أنه أرسل (رنسيمان) "تلبية لطلب تقدمت به الحكومة الجيكية" والحقيقة

٢٧- تقارير ٨ و٩ حزيران ٩٣٨ [وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية ج٢ الص ٣٩٥ و٣٩٩-٤٠١].

٢٨- تقرير ٢٢ حزيران ١٩٣٨ المرجع السالف ص٤٢٦.

٢٩- المرجع نفسه الص٥٢٩-٥٣١.

الواقعة أن (رنسيمان) دفع دفعاً الى بلعوم چيكوسلوفاكيا بيد چمبرلين. لكن هناك خديعة أكبر منها تختفي تحت هذا فالكل يعلم -وچمبرلين أيضاً- أن بعثة (رنسيمان) "للتوسط" بين الحكومة الچيكية



وزعماء السودان شيء سخيّف مستحيل. فهم مدركون أن الزعيم السوداني (هنلاين) ليس حراً ولا يستطيع ان يفاض، وان النزاع الآن محصور بين برلين وبراغ. وتسجل يومياتي لأول مرة ولما تلا من أيام ما يتضح منه أن الچيكي كانوا يدرّون تماماً أن (رنسيمان) ما أرسل إلا ليمهد سبيل إعطاء أرض السودان (لهتلر). انها الحيلة دبلوماسية دنيئة!

والآن بدأت آخر أيام صيف ١٩٣٨ تنصرم و(رنسيمان) يتجول في أرجاء اقليم السودان ويتنقّل في ربوع (براغ) ملقياً بالتلميح

الأميرال هورتي

الودودة للسودان الألمان ومكثراً الطلب على الحكومة الچيكية بأن تمنحهم ما يريدون. أمّا هتلر وجنرالاته فقد كانوا منهمكين في أعمالهم ووزارة خارجيته تظن مثل خلية النحل. وفي ٢٣ آب دعا الزعيم الوصي الهنغاري الأميرال هورتي Horthy وأعضاء الحكومة الهنغارية الى الإقامة على ظهر الباخرة (پاتريا Patria) الراسية في خليج (كيل) أثناء مناورات الأسطول. وأسّر هتلر لضيوفه: إن كانوا يريدون أن يحضروا وليمة الچيكي فعليهم أن يستعجلوا. وأجمل رأيه هكذا "من يريد الجلوس الى السمات، فعليه على الأقل أن يساعد في أعمال المطبخ" وكان السفير الإيطالي (برناردو أتوليكو Bernardo Attolico) ضيفاً في الباخرة أيضاً فألحّ على ريننتروب ليخبره بموعد "الحركة الألمانية على چيكوسلوفاكيا" حتى يكون موسوليني مستعداً. ردّ عليه الوزير الألماني بجواب غامض. كان واضحاً ان الألمان لا يتقون تماماً بنوايا حليفهم الفاشي. أما من بولندا فهم الآن واثقون. فقد دأب فون مولتكه السفير الألماني في وارشو على الكتابة الى برلين إن بولندا لن تخف الى معونة چيكوسلوفاكيا، ولن تسمح لروسيا بإرسال جيوشها عبر أراضيها ولا طائراتها ان تحلق في مجالها الجوي، بل أن وزير الخارجية (الكولونيل يوزف بيك Jozef Beck) يشخصُ بعين نهمه الى قطعة من الأراضي الچيكية وهي اقليم (تيشين Teschen). كان الوزير (بيك) يظهر من الآن قصر النظر القتال الذي غم على الأذهان في أوروبا في ذلك الصيف. هذه الرقاعة التي ستتكشّف له في النهاية عن كارثة تفوق حدود خياله.

كان النشاط المتواصل يسود جو القيادة العليا للقوات المسلحة والقيادة العليا للجيش. ونظمت الخطط الأخيرة لجعل القوات المسلحة على تمام الإستعداد للإندفاع الى چيكوسلوفاكيا في ١ تشرين

الأول. وفي ٢٤ آب كتب الكولونيل (يودل) من القيادة العليا للقوات المسلحة (ق.ع.ق.م) مذكرة مستعجلة لهتلر يشدد على "ضرورة تعيين موعد دقيق" للحادثة" التي ستبرر لألمانيا عامل الإستفزاز المؤدي الى التدخل العسكري لإن توقيت يوم (س) يعتمد عليها.

"[ومضى يقول] لا يمكن إتخاذ إجراءات مسبقة قبل (س) ناقصاً (١) [يوماً واحداً] حيث لا يمكن أن نتقدم بإيضاحات بريئة، وبخلافه سنبدو وكأننا إفتعلنا (الحادثة) إفتعالاً... ولأسباب فنية إذا اعتبرت ساعات العصر مناسبة (للحادثة) فلا يمكن أن يكون اليوم التالي هو يوم (س) بل يجب أن يكون بعده... إن الغاية من هذه الملاحظات هو الإشارة الى الأهمية العظيمة التي توليها القوات المسلحة (للحادثة) ويجب أن تبلغ بنية الزعيم خلال وقت كافٍ -ذلك لأن دائرة إستخبارات القوات المسلحة لم تكلف هي الأخرى بتدبير الحادثة^(٣٠).

كانت إستعدادات الخبراء للهجوم على چيكوسلوفاكيا فيما يظهر قد قطعت أشواطاً بعيدة بنهاية الصيف. ولكن ماذا عن الإستحكامات في الغرب إذا ما وقى الفرنسيون بتعهداتهم للچيك وقاموا بهجوم؟ في ٢٦ آب باشر هتلر بجولة في الاستحكامات الغربية يصحبه (يودل) والدكتور (تود Todt) المهندس المشرف على بناء الجدار الغربي، و(هملر) وعدد من رجال الحزب. وفي ٢٧ آب إلتحق بالركب الجنرال قلهم آدم قائد جبهة الغرب (وهو عسكري باقاري صريح وقدير) وفي اليومين التاليين شاهد هذا الضابط كيف صار هتلر يترنج شمالاً بالإستقبال الطافر الذي نظم له في أرض الراين. في حين لم تحدث أثراً في الجنرال بل كان في الواقع شديد القلق، وفي اليوم التاسع والعشرين أحدث مفاجأة غريبة عند الحاضرين بطلبه التحدث مع (الزعيم) على إنفراد. فصره هتلر كلاً من هملر وأعوانه الحزبيين ولم يضيع (آدم) وقته بالكلام الفارغ وصرح أنه لا يمكن من الصمود في الجدار الغربي -رغم كل الدعاية عنه- بالقطعات التي هي الآن تحت إمرته. فهاج هائج (هتلر) وصب في أذنيه محاضرة طويلة حول كيفية بلوغه بألمانيا الى القوة التي تزيد على قوة بريطانيا وفرنسا مجتمعين. وصاح به: "إن الرجل الذي لا يصمد في هذه الاستحكامات هو جبان وغد!"^(٣١)

مهما يكن من أمر، فقد زادت الشكوك حول هذه النقطة في عقول جنرالات آخرين خلاف (آدام). وفي ٣ أيلول استدعى هتلر رئيس (ق.ع.ق.م) والقيادة العليا للجيش (ق.ع.ج) (كايتل وبراوختش). واتفق على أن تحرك وحدات الميدان الى نقاطها على طول الحدود الچيكية في ٢٨ أيلول. ولكن يجب أن يعرف (ق.ع.ق.م) متى سيكون يوم (س)، في وقت لا يتجاوز ظهر ٢٧ أيلول. ولم يكن هتلر راضياً عن مخطط العمليات (للقضية الخضراء) وأمر أن تجرى فيه تنقيحات من جوانب متعددة. ويتضح من الملاحظات التي دوّنها الرائد (شموندت) أن براوختش على الأقل. أثار

٣٠- المبرز رقم ١٧ من ملف (القضية الخضراء) [مؤامرة... ج ٣ الص ٣٣٢-٣٣٣ الوثيقة ٣٨٨ PS].

٣١- على ما جاء في يوميات يودل. ان هتلر استخدم كلمة Humdsfott وهي أفزع [محاكمات مجرمي الحرب الكبار: ج ٢٨ ص ٣٧٥] ويذكر تلفورد تايلر في كتابه "السيف والصليب المعقوف" تفاصيل أكثر مبنية على مذكرات الجنرال آدم غير المطبوعة.

مسألة كيفية الصمود في الغرب (ذلك لأن مصانعة كايتل أفقدته الجرأة على الكلام) فصرفه هتلر مؤكداً له أنه اصدر الأوامر بالتعجيل في بناء الإستحكامات الغربية^(٣٢).

في ٨ أيلول قابِل الجنرال (هاينريخ فون شتولبناغل Heinrich von Stuelpnagel) يودل ودون هذا في يومياته عن تشاؤم الجنرال من الموقف العسكري في الغرب. كان واضحاً لكليهما أن هتلر الذي إرتفعت معنوياته بحماسة مهرجان الحزب السنوي في نورمبرگ المفتتح وشيكاً، يسير بعزم ثابت في طريق الهجوم على چيكوسلوفاكيا سواء أتدخلت فرنسا أم لم تتدخل. وكتب يودل المتفائل عادة "أعترف بأني قلق كذلك".

في اليوم التالي (٩ أيلول) استدعى هتلر (كايتل وبراوختش وهالدر) الى نورمبرگ لمؤقر بدأ في العاشرة مساءً ولم ينته إلا في الرابعة صباحاً وكان مؤقراً عاصفاً كما أسر كايتل ليودل، فأسرهما هذا بدوره الى يومياته. ووجد (هالدر) نفسه في وضع دقيق لإضطرابه بحكم منصبه الى شرح خطة هيئة الأركان في معركة چيكوسلوفاكيا بكل تفاصيلها (في حين كان هو مركز ثقل المؤامرة على التطويح بهتلر في الوقت الذي ينطق بأمر الهجوم)، ووجد نفسه في مركز غير مريح قط عندما رأى هتلر يمزق الخطة شرمزق ويشرع في تأنيبه وتأنيب (براوختش) لجبنها وعدم كفاءتهما من الناحية العسكرية^(٣٣).

ونوه (يودل) تلميحاً في الثالث عشر من الشهر بأن (كايتل) مازال "شديد الإضطراب" لفرط ما لقيه من عناء في إجتماع نورمبرگ ولإنتشار روح "الإنهزامية" الواضحة بين قادة الجيش الألماني الكبار.

"رفعت (للزعيم) تُهمُ بروح الإنهزامية التي تسود (ق.ع.ج)... كايتل يقول انه لن يتسامح مع أي ضابط في (ق.ع.م) ينتقد أو يتبنى أفكاراً غير صحيحة أو يظهر إنهزامية... (الزعيم) يعرف أن قائد الجيش (براوختش) كان قد طلب من جنرالاته قادة القطعات مساندة في فتح عين هتلر على المخاطر التي تكتنف مغامرته المنتواة. وهو نفسه [براوختش] لم يبق له أي تأثير على الزعيم. ولهذا خيم على نورمبرگ جو صقيعي بارد ومن سوء الحظ الشديد أن (الزعيم) يتمتع بثقة جميع أبناء الأمة بإستثناء قادة الجيش الكبار."

كل هذا أحنز الشاب المستوفز (يودل) الذي ربط مصيره بهتلر.

"بالأعمال فحسب يمكن [لهؤلاء الجنرالات] أن يصلحوا الأضرار التي أحدثوها بسبب إفتقارهم الى القوى العقلية والطاعة. إنها مشكلة العام ١٩١٤ بعينها. هناك مثل واحد يضرب للعصيان داخل الجيش ألا وهو تمرد الجنرالات، وهو ينبع في النهاية من كبرياتهم. انهم لا يستطيعون بعد ان يؤمنوا أو

٣٢- وقائع إجتماع ٣ أيلول ١٩٣٨ [مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٣ ص ٣٣٤-٣٣٥ الوثيقة PS ٣٨٨].
٣٣- ملاحظات شمودت عن إجتماع ٩ أيلول، المرجع السالف الص ٣٣٥-٣٣٨ وهو المبرز رقم ١٩ في ملف (القضية الخضراء).

أن يطيعوا لأنهم لا يدركون عبقرية هتلر. كثير منهم ما يزال يرى فيه نائب عريف الحرب العامة ولا يرى فيه أعظم سياسي منذ بسمارك^(٣٤)."

في الحديث الذي جرى بين (يودل) وبين الجنرال فون شتوليناغل الذي كان يشغل منصب "مدير التسليح والميرة الأول Oberquartiermeister 1" في قيادة الجيش العليا، أحد المشاركين في مؤامرة (هالدر) طلب تأكيدات خطية من (ق.ع.ق.م) بأن تحاط قيادة الجيش العليا علماً بأمر هتلر بالهجوم قبل وقوعه بخمسة أيام. فأجاب يودل أن تقلبات الطقس لاتدع مجالاً لأكثر من يومين وعلى كلِّ كانت المهلة كافية للمؤثرين. إلا أنهم كانوا بحاجة الى تأكيدات من نوع آخر- هل هم مصيبون في إفتراضهم بأن بريطانيا وفرنسا ستدخلان الحرب ضد ألمانيا إن نفذ هتلر عزمه في غزو چيكوسلوفاكيا. ولهذا السبب قرروا إرسال وكلاء يوثق بهم الى لندن ليكشفوا عما إنتوته بريطانيا،



ونستون چرچل أيام الحرب

وليحاولوا أن يقووا من عزمها بإعلام الحكومة البريطانية أن هتلر قد قرر غزو چيكوسلوفاكيا في يوم معين من الخريف القادم وان هيئة الأركان التي تعرف الموعد تعارض في الهجوم وهي على إستعداد لإتخاذ عمل حاسم جداً لوقفه إن إتخذت بريطانيا موقفاً حازماً من هتلر الى الأخير.

واختار الكولونيل (اوشتر) من دائرة الإستخبارات (إفالد فون كلايست) مبعوثاً للمؤثرين. فوصل لندن في ١٨ آب. كان السفير (هندرسن) في برلين الذي بات يلح في إعطاء هتلر كل ما يريد في چيكوسلوفاكيا، ونصح وزارة الخارجية "ليس من الحكمة في شيء إستقباله [يعني كلايست] في الدوائر الرسمية" غير ان السر (روبرت فانسيترت) رئيس المستشارين الدبلوماسيين في وزارة الخارجية^(٣٥) وأحد

٣٤- يومية يودل- حاشية ١٣ أيلول: [محاكمات مجرمي الحرب... ج ٢٨ الص ٣٧٨-٣٧٩ الوثيقة: PS ١٧٨٠].
٣٥- جاء في مذكرة لوزارة الخارجية الألمانية مؤرخة ٦ آب. ان هندرسن قال في حفلة خاصة للمدعين الألمان الحاضرين "ان بريطانيا العظمى لن تفكر في المخاطرة ولو ببخار واحد أو طيار واحد في سبيل چيكوسلوفاكيا وان كل حلّ معقول سيكتب له النجاح مادام لايفرض بالقوة" [وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية ج ٢ ص ٥٣٦].